شرح كتاب الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم

للشيخة
أم عبد الله بنت الشيخ مقبل بن هادي الوادعي
حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

❐أسئلة وأجوبة الدرس (١١)❐

١. متى كان حصار شعب أبي طالب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومناصريه؟

كان ذلك كما قال الحافظ في «فتح الباري»(٣٨٨٢): أَوَّل يَوْمٍ مِنَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْبَعْثَةِ.

٢. أبناء عبد مناف أربعة فمن هم؟

نوفل، عبد شمس، هاشم، المطلب.

٣. مَن مِنْ هؤلاء الأربعة ناصروا النبي ﷺ؟

هاشم والمطلب.

٤. وما هو الذي اتفقوا عليه في هذا الحصار؟

أَلَّا يُبَايِعُوهُمْ، وَلَا يُنَاكِحُوهُمْ، وَلَا يُكَلِّمُوهُمْ، وَلَا يُجَالِسُوهُمْ.

٥. من الذي كتب الصحيفة حسب ما اشتهر في السيرة؟

منصور بن عكرمة، وقيل غيره.

٦. هل دخل بنو هاشم وبنوعبدالمطلب كلهم مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ مؤمنهم وكافرهم في شعب أبي طالب؟

نعم، عدا أبا لهب فإنه ظاهَر قريشًا.

٧. كم كان مدة الحصار؟

ثلاثَ سنين.

٨. قول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ» إلى ماذا يشير؟

يشير إلى هذا الحَدَث العظيم في تحالفِ قريش على المقاطعة.

٩. «مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ»هل تستفيدين مما مر معك في السيرة شرح هذا الحديث؟

نعم، السيرة شرحت وبينت معنى «حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الكُفْرِ» أي: على الكفر الذي تقاسموا عليه كما تقدم.

١٠. ذُكر في السيرة أنهم علقوا الصحيفة في سقف الكعبة فجاءت الأرضة فأكلتها باستثناء ماذا؟

اختلفت الروايات أن الأرَضة أكلت كل ما فيها إلا ذكر الله، وفي رواية أنها أكلت ذكر الله وتركت القطيعة والظلم والأذى.

١١. ما اسم أبي لهب؟

أبو لهب: اسمه عبد العزى.

١٢. ما الحامل لدخول مَن تقدم شعب أبي طالب مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؟

الحمية والعصبية للقرابة.

١٣. من تذكر لنا شيئًا من مناصرة أبي طالب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ ومدافعته عنه؟

قصة الحصار، وأنه دخل مع النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ حمية له.

١٤. فهل نفع أبو طالب نصرته للنبي ﷺ وحمايته له؟

تخفيف العذاب عنه وأنه في ضحضاح من نار كما في الحديث؛ لأنه مات على الكفر، فشفع له أن يخفف عنه العذاب.

١٥. ما سبب نزول قوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾؟

أخرج البخاري (٤٠٦٩) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنْ الرُّكُوعِ مِنْ الرَّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنْ الْفَجْرِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا بَعْدَ مَا يَقُولُ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الزمر:١٢٨]».

١٦. أعمام النَّبِيّ ﷺ الذين أدركهم الإسلام؟

حمزة، والعباس، وأبو لهب، وأبو طالب.

١٧. اثنان أسلما من أعمام النَّبِيّ ﷺ فمن هما؟

حمزة، والعباس.

١٨. واثنان بقيا على الكفر فمن هما؟

أبو لهب، وأبو طالب.

١٩. ما السبب في الخروج من شعب بني طالب وانتهاء الحصار؟

حصل بين كفار قريش اختلافٌ وافتراق، فسعى نفرٌ في نقض الصحيفة التي كان تمَّ اجتماعهم عليها وتبرَّأُوا منها، وقامَ بنقضِها من كفار قريش أنفسِهم: هشامُ بنُ عمرو، والمُطعم بن عدي، وآخرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (١٢)

قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْفِدَاءِ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُمَرَ بْنِ كَثِير رحمه الله:

فَصْلٌ: خُرُوجُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ

فَلَمَّا نُقِضَتِ الصَّحِيفَةُ وَافَقَ مَوْتَ خَدِيجَةَ رضي الله عنها، وَمَوْتَ أَبِي طَالِبٍ (١)، وَكَانَ بَيْنَهُمَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ (٢)، فَاشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ سُفَهَاءِ قَوْمِهِ، وَأَقْدَمُوا عَلَيْهِ، فَخَرَجَ

---

(١) لمَّا نُقضت الصحيفةُ التي كان تمَّ الإجماع على توثيقها من بني عبد شمس وبني نوفل سنة سبع، وكان نقضها في سنةِ عشر من البعثة النبوية، توالتِ المصائبُ، فماتت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، التي كانت مناصرةً ومؤانسةً ومعينةً للنبي ﷺ، ومات أبو طالب عمُّ النبي ﷺ، الذي كان يغضب له ويحوطه، وهذا من تتابع المصائب، ولله الحكمة البالغة.

(٢) هكذا ذُكِر أن بين وفاتَيهما ثلاثة أيام، وذكره العراقي في «ألفية السيرة»(٦٤)، وقال عن خروجهم من شعب أبي طالب:

بعدَ خروجِهِمْ بِثُلْثَيْ عَامِ... وثُلُثَيْ شَهرٍ ويوْمٍ طامي

سيقَ أبو طالب للحِمَام... ثمّ تلا ثلاثةَ الأيامِ

موتُ خديجةَ الرضَا فلم يَهُنْ... على الرّسول فَقْدُ ذَيْنِ وَحَزِنَ

ويفيد ما ذكره العراقي هنا: تاريخ وفاة أبي طالب، وأنه توفي بعد خروجهم من الشعب بثمانية أشهر وواحد وعشرين يومًا، وأن وفاة أم المؤمنين خديجة بعده بثلاثة أيام. والذي

نستطيع أن نجزم به، أنه كان موتُهما في عامٍ واحد في السنة العاشرة، وأنه كان بين وفاتيهما مدة يسيرة.

قال ابن برهان الدين الحلبي في «السيرة الحلبية»(٣/٥٢١): وفي السنة العاشرة من النبوة مات أبو طالب، وماتت خديجة رضي الله عنها. اهـ.

وعند أن مات أبو طالب على كفره لم يُغسَّلْ، وأما جثته فأمر النبيُّ ﷺ ابنَه علي بن أبي طالب بأن يغيِّبها عن أعين الناس، كما روى الإمام أحمد (٢/رقم ٨٠٧) عَنْ عَلِيٍّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنَّ عَمَّكَ الشَّيْخَ قَدْ مَاتَ. قَالَ: «اذْهَبْ فَوَارِهِ، ثُمَّ لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي». قَالَ: فَوَارَيْتُهُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، قَالَ: «اذْهَبْ فَاغْتَسِلْ، ثُمَّ لَا تُحْدِثْ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي». قَالَ: فَاغْتَسَلْتُ ثُمَّ أَتَيْتُهُ، قَالَ: «فَدَعَا لِي بِدَعَوَاتٍ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا حُمْرَ النَّعَمِ وَسُودَهَا». وفيه الغسل من دفن الكافر، وعدم اتباع جنازته، وقوة ووفور إيمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فلم يحمله عاطفية الأبوَّة وحنانها على التقدُّم بين يدي الله ورسولِه، بل كان ولاؤه لله ورسوله، كما قال ربنا تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾[التوبة].

هذا، ولم يذكر الحافظ ابن كثير تسمية هذا العام عام الحُزن، حسب ما اشتهر عند بعض أهل السير تسمية العام العاشر عام الحُزن.

وهذا لم يثبت تسميته عن النبي ﷺ، وإنما ذُكِر بغير إسناد؛ ففي «المواهب اللدنية»(٢/٤٩): وكان عليه الصلاة والسلام يسمي ذلك العام عام الحزن، فيما ذكره صاعد.

قال الشيخ الألباني في «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة»(١٨) متعقبًا البوطي قوله: (ولقد أطلق النبي ﷺ على هذا العام اسم (عام الحزن)؛ لشدة ما كابد فيه من الشدائد في سبيل الدعوة).

فتعقبه الشيخ الألباني، وقال: فإني بعد مزيد البحث عنه لم أقف عليه، أي: على إسناده. وفي كتاب «ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية»(٦٧): لم تَرِدْ هذه التسمية في شيء من الأحاديث الصحيحة، بل ولا الضعيفة، ولا في شيء من كتب السيرة وشروحها، كـ«سيرة ابن إسحاق» وشرحها للسهيلي، ولم يذكر هذا اللفظ-فيما أعلم-أحد ممّن كتب في السيرة كابن القيم والذهبي وابن كثير، ولا غيرهم من شرّاح الأحاديث كالنووي وابن حجر رحمهم الله. اهـ.

وكانت مدَّة إقامة خديجة معه ﷺ بعد ما تزوّجها خمسًا وعشرين سنة.

وبعد وفاتَيْهِما اشتد البلاء وعظُمَ على النبي ﷺ؛ لأن أبا طالب كان مانعًا لأذى رسول الله ﷺ كما تقدم عن ابن مسعود، وأم المؤمنين خديجة كانت مؤانسة له.

وروى الحاكم في «المستدرك»(٢/٢٧٩) من طريق عُقْبَة الْمُجَدَّر، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَّةً حَتَّى تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ». هذا حديث حسن؛ عُقْبة بن خالد بن عُقْبة السَّكُوني، أبو مسعودٍ الكوفي، المُجَدَّر، بالجيم: صدوقٌ صاحبُ حديثٍ، وباقي رجاله ثقات. وقد ذكر الحديث والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين»(١٦٣٧).

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ؛ لِكَيْ يُؤْوُوهُ وَيَنْصُرُوهُ عَلَى قَوْمِهِ، وَيَمْنَعُوهُ مِنْهُمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الَّذِي طَلَبَ، وَآذَوْهُ أَذًى عَظِيمًا، لَمْ يَنَلْ مِنْهُ قَوْمُهُ أَكْثَرَ مِمَّا نَالُوا مِنْهُ فَرَجَعَ عَنْهُمْ (٣).

---

(٣) لما مات أبو طالب اشتد الأذى على رسول الله ﷺ، فخرج متوجِّهًا إلى الطائف السنة العاشرة؛ لكي يؤووه وينصروه؛ ليبلغ رسالة ربِّه، فقابله أهلُ الطائف بأشد أنواع الأذى، وردُّوا قوله، ولم يستجيبُوا له، وهذا جاء في عدة أحاديث، منها:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ كما في «السيرة»(٢/ ٤٧)لابن هشام: فَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرَظِي، قَالَ: لَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ، عَمَد إِلَى نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ، هُمْ يَوْمَئِذٍ سَادَةُ ثَقِيفٍ وَأَشْرَافُهُمْ، وَهُمْ إِخْوَةٌ ثَلَاثَةٌ: عَبْدُ يَالِيل بْنُ عَمرو بْنِ عُمَير، وَمَسْعُودُ بْنُ عَمرو بْنِ عُمَير، وَحَبِيبُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عُمَير بْنِ عَوْفِ بْنِ عُقدة بْنِ غِيَرَة بْنِ عَوْف بْنِ ثَقِيفٍ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَح، فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ. وهذا مرسل؛ لأن محمد بن كعب القرظي تابعي وليس بصحابي.

وَجاء مرسلًا عن ابن شهاب، كما قال الحافظ في «فتح الباري»(٣٢٣١): ذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي «الْمَغَازِي» عَنِ ابن شِهَابٍ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا مَاتَ أَبُو طَالِبٍ تَوَجَّهَ إِلَى الطَّائِفِ؛ رَجَاءَ أَن يؤوه، فَعَمَدَ إِلَى ثَلَاثَةِ نَفَرٍ مِنْ ثَقِيفٍ...إلخ.

وروى الطبراني في «المعجم الكبير»(١٣/ ٧٣)، وفي «الدعاء» (١٠٣٦)من طريق مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَلَمْ يُجِيبُوهُ فَانْصَرَفَ، فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «اللهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي،

وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي، أَمْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانًا عَلَيَّ، فَلَا أُبَالِي، إِنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، لَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»، وفيه عنعنة ابن إسحاق، وهو مدلس؛ ولهذا استفدنا من والدي رحمه الله تضعيفه، وضعفه الشيخ الألباني في «الضعيفة»(٢٩٣٣)، وينظر حاشية الشيخ الألباني على «فقه السيرة»(١٣٥).

وروى الإمام أحمد(٣١/٢٨٩) من طريق عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الطَّائِفِيِّ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدٍ الْعَدْوَانِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَبْصَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي مَشْرِقِ ثَقِيفٍ، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَوْسٍ، أَوْ عَصًا حِينَ أَتَاهُمْ يَبْتَغِي عِنْدَهُمُ النَّصْرَ، قَالَ: فَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ حَتَّى خَتَمَهَا... الحديث. وهذا إسناد ضعيف؛ عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي ضعيف، وعبد الرحمن بن خالد العَدواني مجهول.

وروى البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) عَنِ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ

[عَوْدَةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ إِلَى مَكَّةَ]

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رحمه الله: وَدَخَلَ مَكَّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ.

الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

(بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ) ميقات أهل نجد، وهو قرن المنازل. والأَخْشَبانِ: جَبَلا مكةَ: أبو قُبَيْسٍ والأَحْمَرُ، وجَبَلا مِنًى. كما في «القاموس»(٨٠).

وهذا من رحمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بالكفار، لم يدعُ عليهم، وقد يدعو عليهم إذا اشتدت شوكةُ الكفار، حسب المصلحة، والله تعالى أعلم.

وأفاد ابن سعد كما في «فتح الباري»(٣٢٣١): أن مدة إقامته ﷺ بالطائف كانت عشرة أيام.

وَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﷻ، فَأَسْلَمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ (٤)، وَدَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ آيَةً (٥)، فَجَعَلَ اللَّهُ فِي وَجْهِهِ نُورًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْشَى أَنْ يَقُولُوا: هَذَا مُثْلَةٌ(٦)، فَدَعَا لَهُ، فَصَارَ النُّورُ فِي سَوْطِهِ(٧)، فَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِذِي النُّورِ(٨).

---

(٤) لمَّا رَدَّ أهل الطائف النبيَّ ﷺ رجع إلى مكة، ودخل في جوار المُطعِم بن عَدي، والمُطعِم بن عَدي كان كافرًا ومات على ذلك، ولم ينسَ النبي ﷺ هذا الإحسان من المُطعِم بن عَدي، وأحب أن يكافِئَه لو أمكن، كما روى البخاري (٣١٣٩) عَنْ جبير بن مطعم رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ فِي أُسَارَى بَدْرٍ: «لَوْ كَانَ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ».

(النَّتْنَى) الأسرى من كفار قريش الذين كانوا بأيدي المسلمين، نتنى؛ لكفرهم.

فكان النبي ﷺ بجوار المُطعِم بن عَدي، وألَّا يتعرض أحدٌ بأذى له.

(٥) (الآية): العلامة. نور بينَ عينيه يضيء إذا مشى في الظلام.

(٦) قد يقولون: هذا عيب وآفة.

(٧) (السَّوْطُ) الَّذِي يُضْرَبُ بِهِ، وَالْجَمْعُ (أَسْوَاطٌ) وَ (سِيَاطٌ). كما في «مختار الصحاح»(١٥٧).

وفي «المعجم الوسيط»(٤٦٣): (السَّوْط) مَا يضْرب بِهِ من جلد، سَوَاء أَكَانَ مضفورا أم لم يكن.

(٨) القصة عند ابن عبدالبر في«الاستيعاب»(٢/٧٥٩)بسنده عن هشام ابن الْكَلْبِيِّ، قَالَ: إِنَّمَا سُمِّيَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرِو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم ابن فَهْمٍ ذَا النُّورِ؛ لأَنَّهُ وَفَدَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فقال: يا رسول اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ غَلَبَ عَلَيْهِمُ الزِّنَا، فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ،

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهمّ اهْدِ دَوْسًا». ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْعَثْنِي إِلَيْهِمْ، وَاجْعَلْ لِي آيَةً يَهْتَدُونَ بِهَا. فَقَالَ: «اللَّهمّ نَوِّرْ لَهُ». فَسَطَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقُولُوا مُثْلَةً، فَتَحَوَّلَتْ إِلَى طَرَفِ سَوْطِهِ، فَكَانَتْ تُضِيءُ فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ، فَسُمِّيَ ذَا النُّورِ.

وابن الكلبي: هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي. قال الدارقطني وغيره: متروك.

وقال ابن عساكر: رافضي، ليس بثقة. «ميزان الاعتدال»(٤/ ٣٠٤)، فالقصة عند ابن عبد البر سندها ضعيف جدًّا.

وللفائدة أيضًا أبو هشام: محمد بن السائب متروك.

والطفيل بن عمرو هاجر إلى النبي ﷺ في المدينة ومعه صاحب له، وقد ساق شيئًا منها الإمام مسلم(١١٦) عَنْ جَابِرٍ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو الدَّوْسِيَّ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ لَكَ فِي حِصْنٍ حَصِينٍ وَمَنْعَةٍ؟-قَالَ: حِصْنٌ كَانَ لِدَوْسٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ-فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، هَاجَرَ إِلَيْهِ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَهَاجَرَ مَعَهُ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ، فَمَرِضَ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ مَشَاقِصَ لَهُ، فَقَطَعَ بِهَا بَرَاجِمَهُ، فَشَخَبَتْ يَدَاهُ حَتَّى مَاتَ، فَرَآهُ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو فِي مَنَامِهِ، فَرَآهُ وَهَيْئَتُهُ حَسَنَةٌ، وَرَآهُ مُغَطِّيًا يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا صَنَعَ بِكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: غَفَرَ لِي بِهِجْرَتِي إِلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا لِي أَرَاكَ مُغَطِّيًا يَدَيْكَ؟ قَالَ: قِيلَ لِي: لَنْ نُصْلِحَ مِنْكَ مَا أَفْسَدْتَ، فَقَصَّهَا الطُّفَيْلُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ وَلِيَدَيْهِ فَاغْفِرْ»؛ لأنه مؤمن مهاجر، والهجرة من أسباب مغفرة الذنوب، ولكن هذا الفعل الذي وقع كبيرة؛ فلذا غُفِر له إلا محل الجناية، فدعا له النبي ﷺ أن يُغفر ليديه. وهذا من الأدلة أن صاحب الكبيرة لا يكفر.

وَدَعَا الطُّفَيْلُ قَوْمَهُ (٩) إِلَى اللَّهِ فَأَسْلَمَ بَعْضُهُمْ، وَأَقَامَ فِي بِلَادِهِ، فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ خَيْبَرَ قَدِمَ بِهِمْ فِي نَحْوٍ مِنْ ثَمَانِينَ بَيْتًا (١٠).

وفي هذا الحديث: أن الطفيل أراد إيواء النبي ﷺ وهو بمكة، فعرض عليه الخروج إلى دوس، وقال: إن هناك حصنًا لدوس، ولكن أراد الله أن يدَّخِر هذا للأنصار، فهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وهذا من مناقب الأنصار وفضائلهم، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

(٩) يعني: قبيلة دوس.

(١٠) إسلام أمة عظيمة من قبيلة دوس، وقد كان الطفيل سأل النبي ﷺ أن يدعوَ عليها، كما روى البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (١٩٧)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: قَدِمَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ دَوْسًا قَدْ عَصَتْ وَأَبَتْ فَادْعُ اللَّهَ عَلَيْهَا، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّهُ يَدْعُو عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا وَأْتِ بِهِمْ». وهذا من رحمة النبي ﷺ، دعاؤه للكفار بالهداية.

ودوس قبيلة من الأزد، منها: أبو هريرة. كما في «معجم البلدان»(٣/٨٨).

ودوس أصولها من اليمن؛ ولهذا الوالد رحمه الله في «رياض الجنة» ذكر عددًا من الصحابة اليمنيين، وعد منهم-فيما أذكر-: أبا هريرة، وجرير بن عبدالله البجلي، وأبا موسى الأشعري، ووائل بن حجر الحضرمي.

وقال رحمه الله في «رياض الجنة»(٣٩): سلسلة يمنية: قال الإمام مسلم(٤١٠): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.. ثم قال والدي: ورجال السند يمنيون إلا شيخ مسلم.

انتهينا من هذا الفصل: في ذهاب النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف.

وخلاصة ما قرأنا واستفدنا: أنه بعد موت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها حزن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ حزنًا شديدًا.

وكان موتهما في العام العاشر.

ما جاء أنه سمي ذلك العام بعام الحزن هذا ورد ولم يثبت.

توجُّهُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ إلى الطائف يلتمس من يؤويه وينصره؛ ليبلغ الرسالة، فقابله أهل الطائف بالتكذيب والأذى والعناد، حتى إنه لقي منهم أشد مما لقي من قومه وهم كفار قريش، وحسب ما ورد أنه بقي عشرة أيام، ثم عاد إلى مكة، ولكنه لا يستطيع الدخول مكة آمنًا على نفسه، فدخل في جوار بعض كفار قريش-مع أنه نبي الله لكن هذا من الابتلاءات-، منهم: المطعم بن عدي والد جبير الصحابي، ولم ينس النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ هذا المعروف لمطعم بن عدي كما سبق.

فكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في جوار المطعم بن عدي، فبعد ذلك جاء أعداد ممن يريدون أن يسمعوا من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وممن أراد الله لهم الخير، ومنهم الطفيل بن عمرو الدوسي، فكانوا يحذرونه أن يسمع من النَّبِيّ ﷺ، ولكنه ثبت وذهب إلى النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وأسلم.

أما ما جاء أنه دَعَا لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُ آيَةً، فَجَعَلَ اللَّهُ فِي وَجْهِهِ نُورًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْشَى أَنْ يَقُولُوا: هَذَا مُثْلَةٌ، فَدَعَا لَهُ، فَصَارَ النُّورُ فِي سَوْطِهِ، فَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِذِي النُّورِ. فهذا ضعيف جدًّا؛ فيه هشام بن محمد بن السائب الكلبي، ومع ذلك اشتهر أن الملقب بذي النور هو الطفيل بن عمرو الدوسي، كما اشتهر أن الملقب بذي النورَين عثمان

بن عفان؛ أخذوه من تزوجه ابنتين للنَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما، وأم كلثوم تزوجها عثمان بن عفان بعد موت رقية رضي الله عنهم.

واستفدنا: فضيلة للطفيل؛ إذ عرض على النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ أن يذهب إلى حصن حصين-أي: منيع-في دوس؛ لإيوائه ونصرته، فَأَبَى ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِي ذَخَرَ اللهُ لِلْأَنْصَارِ، فهذا شيء ادخره الله للأنصار واختصهم بهم.

وبهذا ننتهي، ولله الحمد.